الهادي (ع): الإمام الّذي احتضن النّاس كلّهم

*العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل ا

كان الأئمّة (ع) يعيشون مع القاعدة في السّاحة، ولم يعش أحد منهم في برجٍ عاجيّ، ولذلك كان الخلفاء يحملون العقدة ضدّهم، من خلال هذا الامتداد الشعبي الذي يملكونه في الأمّة، لأنّ أمثال هؤلاء الخلفاء، ولا سيّما من بني العباس،

لا يريدون لأيّ رمز إسلاميّ كبير أن يحصل على هذه الثقة الممتدّة في الواقع الإسلامي، وخصوصاً إذا كان الرّمز ممن يعتقد فريق من الأمّة بإمامته، إن المسألة تتحوّل عند ذلك إلى خطر على الكرسي وعلى الملك.

ولذلك، لو درسنا تاريخ أكثر الأئمّة (ع)، لرأينا الجواسيس تحيط بهم من كلّ جانب، ممن قد يخبرون صدقاً، وممن قد يفترون كذباً، ورأينا أنّ الحاكمين آنذاك يعملون على التعسّف في تصرّفاتهم معهم،

فقد يسجنون إماماً هنا، وقد يحصرونه في بيته هناك، وقد يستقدمونه من بلده إلى أماكن سلطتهم ليكون تحت رقابتهم، حتى إنهم كانوا يبعثون بجماعتهم أو بموظفيهم ليهجموا عليهم في منتصف اللّيل، كما فعلوا ذلك مع الإمام الهادي (ع)، حيث وُشِيَ به إلى المتوكّل بأنّ لديه أموالاً وأسلحة.

ودخل الزبانية عليه في اللّيل، وكان يصلّي لربّه في صحن الدار، وعندما أحسّ بهم، تحدّث معهم برفق، كأنه خاف عليهم أن يسقطوا وقد جاؤوا متسلّقين الجدار، فقال لهم اصبروا حتى أبعث إليكم سراجاً، ثم قال لهم دونكم البيوت ـ أي الغرف ـ ففتّشوها. ولم يجدوا إلا كتب العلم والمصاحف وما إلى ذلك.

وهكذا عانى الإمام الهادي (ع) الكثير من خلفاء بني العباس، فقد عاش مع المعتصم في بقية خلافته، ثم بعد ذلك، عاش مع أكثر من شخص من هؤلاء، كما يتحدّث "ابن الصباغ المالكي" في "الفصول المهمة"، أنه عاش مدّة في بقية ملك "المعتصم"، ثم مع "الواثق" خمس سنين وتسعة أشهر، ثم مع "المتوكل" أربعة عشر سنة، ثم مع ابنه "المنتصر" ستّة أشهر، ثم مع "المستعين" ابن أخ المتوكّل ثلاث سنين وتسعة أشهر، ثم مع "المعتزّ"، وهو ابن الزبير بن المتوكّل، وقد استشهد في آخر ملكه، لأنه (ع) كما جاء في "الفصول المهمة"، مات مسموماً.

عاش الإمام كلّ حياته تلك معلّماً هادياً مرشداً، يحتضن الناس كلّهم في كلّ مواقع بؤسهم ليساعدهم، ولذلك، لما جاء

رسول المتوكّل إلى المدينة ليحمله إلى بغداد، قال المؤرّخون وهم ينقلون عن الشخص الذي أرسله المتوكّل: "ضجّت

المدينة ضجةً واحدة، لأنهم خافوا على الإمام"، وكان يتحدث في ذلك، فيقول عن ترحيل الإمام: "كما لو كانت السّماء قد

أطبقت على الأرض"، وحاول أن يطمئنهم بطريقة وبأخرى، وعمل المتوكّل ـ كما أشرنا ـ على أن يتعسّف به بين سجن تارةً، وبين محاولة إضعاف موقعه وما إلى ذلك...

*من كتاب "النّدوة"، ج 4.